دور زيارة الأربعين في ترسيخ القيّم الدينية

محمد جواد الدمستاني
مركز الغري – بلجيكا
alqaim5@gmail.com

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
ربيع الاول - ١٤٤٥ هـ ،تشرين الاول - ٢٠٢٣ م

ملخص البحث

إنّ مجموعة القيّم و المباديء الدينية الاسلامية تتجلى في زيارة أربعين الإمام الحسين ﷺ، حيث تشاهد الإيمان على وجوه وحركات الزائرين و المضيّفين في المواكب الممتدة مئات الكيلومترات، و القيّم الأخلاقية من نبل و اجلال و احتفاء و استضافة و ترحيب، وكذا تحمّل و صفح و تجاوز عمّا يقع من الأخطاء، و الاجتماعية من إحسان و إنفاق و تكافل، و قيّم الأخوة و المودة، و التعاون، والكرم و الضيافة ، و خدمة المؤمنين إلى غيرها من قيّم الدين الأخرى.

والكلام هنا سيكون حول بعض القيّم الدينية التي ترسخها زيارة الأربعين أو التي ينبغي أن ترسخها تلك الزيارة و تعززها و تثبتها أو تزيد في تثبيتها.

إنّ من أهم القيّم الدينية التي ذكرها أهل البيت و كررها النبي و أهل بيته ﷺ عدة مرات، و في عدة مناسبات، هي السلم و الحرب و الولاء و البراء طبقا لقيّم الحسين و أهل البيت ﷺ.

و أحد الإشارات المهمة في زيارة عاشوراء هي الاستراتيجية و الاستمرارية في الولاء و العداء على أساس أهل البيت ﷺ، بمعنى أنّ الأمر يمثل حالة استراتيجية دائمة و ليس تكتيكا مرحليا قابل للتغيير.

و أحد القيّم الدينية التي ترسخها زيارة الأربعين الانصهار في قيّم الدين من ناحية إهمال مكانة و شأن العرق واللون و البلد و اللغة، فهذا المظهر الديني الحقيقي و الأخلاقي و الحضاري يتجلى في زيارة الأربعين أيّما تجلي، ويجب أن يتجلى في كل أزمنة أعمارنا و امكنتها.

و أحد القيّم الدينية المأمور بها شرعا و التي تخرج النفس من حالة الطمع و الجشع إلى حالة البذل و الكرم هي الضيافة و إطعام الطعام، و الكرم والعطاء ...

ومن القيّم الدينية التي تعززها زيارة الأربعين هي «خدمة المؤمنين» فهي تتجلى في زيارة الأربعين، حيث تتسابق العشائر العراقية و العراقيون إلى خدمة زوار الحسين في مظهر فريد من نوعه على أرجاء المعمورة كلها، ليس في الطعام و الشراب فقط، بل كثير من الخدمات مثل المبيت ، و الدواء، والاسعافات و التدليك، واستخدام السيارات للنقل مجانا عند كثيرين، إلى غيرها من أنواع الخدمات التي يقدمها الأفراد و المواكب للمؤمنين زوار الحسين عليه السلام

و أهم من كل ذلك إظهار الحبّ و الشوق و التوقير و التعظيم في خدمتهم للزوار و هذا مما تنفرد به هذه البقعة المباركة و خدمتها و لا مثيل له في كل العالم.

الكلمات المفتاحية : زيارة الاربعين ،القيم الدينية ، الاسلام

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
ربيع الاول - ١٤٤٥ هـ ,تشرين الاول - ٢٠٢٣ م

The role of Ziyarte Al-Arba'een in ingraining the religious values.

Muhammad Jawad Al-Dimistani
Brussels, Belgium
alqaim5@gmail.com

Abstract

ziyarte AL-Arbaeen, the commemoration of Imam Hussein (peace be upon him), plays a significant role in reinforcing and promoting religious values. The Islamic values and principles are manifested in the faces and actions of the visitors and hosts throughout the hundreds of kilometers of processions. These values include nobility, reverence, hospitality, forgiveness, social welfare, brotherhood, cooperation, generosity, and serving the believers.

One of the important religious values emphasized by Ahlul Bayt and the Prophet (peace be upon them) is the concepts of peace, war, loyalty, and disavowal in accordance with the values demonstrated by Imam Hussein and his family (peace be upon them). The visitation of Ashura signifies a strategic and enduring commitment to loyalty and enmity based on the principles of Ahlul Bayt, representing a constant strategic stance rather than a temporary tactical change.

Another important value reinforced by the Arbaeen visitation is the integration of religious values, disregarding race, color, nationality, and language. This true religious, ethical, and civilized aspect is evident in the Arbaeen visitation and should be reflected in all aspects of our lives.

Hospitality, feeding the hungry, generosity, and selflessness are among the religious values that the Arbaeen visitation highlights. These values help individuals move away from greed and selfishness towards giving and kindness.

The service to the believers is also a significant religious value emphasized by ziyarte AL-Arbaeen Iraqi tribes and the Iraqi people as a whole rush to serve the visitors of Imam Hussein in a unique and unprecedented manner worldwide. This service includes not only food and drinks but also accommodation, medical aid, transportation, and various other forms of assistance provided by individuals and processions to the visitors of Imam Hussein.

Above all, the expression of love, reverence, and honor in serving the visitors distinguishes this blessed occasion and its service, setting it apart from any other place in the world

Keywords: Ziyarte Al-Arba'een , religious values, Islam

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي السادس لزيارة الاربعين /ايلول ٢٠٢٢/ الجزء الاول

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
ربيع الاول - ١٤٤٥هـ ,تشرين الاول - ٢٠٢٣م

مقدمة

من المناسب في ضوء تجربتنا المتكررة لزيارة الأربعين في كربلاء المقدسة، وقراءة زيارات الحسين عليه السلام في مواطنها ومناسباتها، أن نكتب شيئا عن ذلك الدور الذي نراه واضحا في زيارة الأربعين.

إنّ مجموعة من القيّم والمباديء الدينية الإسلامية تتجلى في زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام، حيث تشاهد الإيمان على وجوه وحركات الزائرين والمضيّفين في المواكب الممتدة مئات الكيلومترات، والسلم والسلام والاطمئنان والاحترام، والقيّم الأخلاقية من نبل وإجلال واحتفاء واستضافة وترحيب، وكذا تسامح وصفح وتجاوز عمّا يقع من أخطاء، والاجتماعية من إحسان وإنفاق وتكافل، وقيّم الأخوة والمودة، والتعاون، والكرم والضيافة، وخدمة المؤمنين، إلى غيرها من قيّم الدين الأخرى.

والكلام هنا سيكون على بعض القيّم الدينية، التي ترسخها زيارة الأربعين، أو التي ينبغي أن ترسخها تلك الزيارة وتعززها وتثبتها، أو تزيد في تثبيتها.

وسيكون الكلام في أربع نقاط.

١. السلم والحرب في زيارة الحسين عليه السلام

إنّ من أهم القيّم الدينية التي ذكرها أهل البيت وكررها النبي وأهل بيته عليهم السلام عدة من مرات، وفي عدة من مناسبات، هي السلم والحرب والولاء والعَدَاء بمركزية ومحورية الحسين وأهل البيت عليهم السلام.

السلم والسلام والأمان لمن هو في سلام مع أهل بيت النبي صلوات الله

وسلامه عليهم أجمعين، ومع الحسين وأولاد الحسين وأنصار الحسين وشيعة الحسين، والحرب والقتال والخصام مع من هو في حرب عليهم.

ليس صدفة ولا اتفاقا طارئا أن يكرر أهل البيت عليهم السلام جملة «سلمٌ لمن سالمكم، وحربٌ لمن حاربكم»، بل هي استراتيجية وخطة محكمة يُريدون عليهم السلام من شيعتهم، العمل بها والاهتمام بموضوعها وجعلها منهجا يتبعونه.

وقد وردت هذه الجملة في زيارة عاشوراء في موضعين:

الأول « يا أبا عبد الله، إنّي سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، إلى يوم القيامة..» (بن قولويه، ص٣٢٩).

والثاني « إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، وولي لمن والاكم، وعدو لمن عاداكم، فأسأل الله الذي أكرمني بمعرفتكم، ومعرفة أوليائكم، ورزقني البراءة من أعدائكم، أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة..» (بن قولويه، ص ٣٣٠).

ووردت في في زيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام:

« موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم، سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم،..»(الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٣٠٧).

ووردت في زيارة الإمام الكاظم عليه السلام: عن أبي الحسن عليه السلام: وتقول عند قبر أبي الحسن عليه السلام ببغداد:

«أُشهد الله أني سلمٌ لمن سالمكم، وحربٌ لمن حاربكم، مؤمنٌ بسركم وعلانيتكم، مفوّضٌ في ذلك كله إليكم،..»(بن قولويه ، ص ٥٠١).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي السادس لزيارة الاربعين /ايلول ٢٠٢٢/ الجزء الاول

ويروى عن النبيّ ﷺ أنّه قال لأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام: «إنّي سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم »(المجلسي – ج ٣٧ – الصفحة ٧٨).

وتأكد هذا المعنى بألفاظ متعددة في الروايات، مثل: قول رسول الله ﷺ في أمير المؤمنين عليه السلام:

« يا علي حربك حربي، وسلمك سلمي » (الشيخ الطوسي ، ص ٣٩٤).

«حرب علي حرب الله، وسلم علي سلم الله »(الشيخ الصدوق ، ص ٥١٠) .

« ولي علي ولي الله، وعدو علي عدو الله »(الشيخ الصدوق ، ص ٥١٠) .

والعبارة واضحة التقابل بين السلم والحرب، وأنّ الإنسان المؤمن الموالي لأهل البيت عليهم السلام ينبغي أن يكون سلما لمن سالم محمدا وآل محمد، وأن يكون حربًا لمن حاربهم، وهذا في حالتي السلم والحرب.

أما في حالة الحرب، فالأمر بيّن وواضح وبارز، فيجب الوقوف في صفوف آل محمد وحرب أعدائهم، والسلم مع من سالمهم، كأن يكون في عصر أمير المؤمنين عليه السلام فيقف معه في المواقف كلها، بعد وفاة رسول الله ﷺ، وفي معارك الجمل والنهروان وصفين، أو في عصر الحسين عليه السلام فيقف معه في كربلاء ضد عدوه، كما كان أصحاب أمير المؤمنين وأصحاب الحسين عليهما السلام في الوقوف معهما والثبات والشهادة.

وفي حالة السلم، أي: الحالة العادية، يعني الالتفاف حول راية آل محمد عليهم السلام، ومناصريهم، والأخذ عنهم ومسالمتهم والتسليم لهم، والتعاون والتضامن معهم، والتهيؤ والاستعداد لأمرهم وندائهم.

وكذلك يعني في حالة السلم، التبرئ من أعدائهم وإنكارهم بمطلق الإنكار القلبي واللساني وحتى الجسدي، والحذر من أعدائهم وأتباعهم، والبصيرة والإدراك في ما يُخطط له أعداؤهم وأعداء شيعتهم.

وهذه السلمية والحرب للمناصرين والمعادين، مطلقة، وتعني في حالة السلم الظاهري، والحرب، على جميع الأصعدة: الاجتماعية والسياسية والعسكرية وغيرها.

وعليه فترتيب وتنظيم الولاء والعداء بمحورية وقيّم الحسين وأهل البيت ﷺ مطلق للموالي في كل مواقعه ومواقفه زائرا كان صاحب الموقف، أو صاحب موكب، أو مقيم مجلس، أو خادما في العتبة، أو إعلاميا أو سياسيا أو غيرها.

وهذا التنظيم للولاء والعداء يرشد إلى التزام قيّم ومبادئ الثورة الحسينية، ويعني وضع قاعدة أساس مركزية واستراتيجية في العلاقات والصداقات والولاءات والعداءات في كل الأزمنة والأمكنة عنوانها السلم والولاء لمن والى الحسين وآل محمد ﷺ، والعداء والحرب لمن عادى الحسين وآل محمد ﷺ، وتعني رفض الولاء والعداء بالأهواء والمصالح الشخصية أو الفئوية أو غيرها.

وهي إرادة أهل البيت ﷺ بتأكيد وتكرار وأمر لشيعتهم حينما يقومون بزيارة أهل البيت ﷺ والحسين ويقفون عند قبورهم في معاهدتهم على التزام سلم من سالمهم، وحرب من حاربهم، ووالولاء لمن والاهم، والعداء لمن عاداهم، وحينما يزورون دون هذه المعاني، فليست هي الزيارة التي أرادها أهل البيت ﷺ، بل تنقصها روح الزيارة التي هي الأصل.

والروح هو تنظيم السلم والحرب والولاء والعداء بمحورية الحسين وأهل

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي السادس لزيارة الاربعين /ايلول ٢٠٢٢/ الجزء الاول

البيت عليهم السلام، وجعله هو المنهج والمعيار وليس شيئا آخرا، وليس الهوى النفسي.

ولعل رواية الإمام الصادق عليه السلام تشير إلى الولاء السياسي والولاية السياسية لهم عليهم السلام فيما روي في تفسير العياشي عنه عليه السلام « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان، قال: أتدري ما السلم؟ قال: قلت أنت أعلم، قال: ولاية علي والأئمة الأوصياء من بعده، قال: وخطوات الشيطان: والله، ولاية فلان وفلان»(العياشي، ج ١، ص ١٠٩؛ المجلسي، ج ٢٤، ص ١٦١، وج ٣١، ص ٦٠٤)

وإحدى الإشارات المهمة في زيارة عاشوراء هي الاستراتيجية والاستمرارية في الولاء والعداء على أساس أهل البيت عليهم السلام، بمعنى أنّ الأمر يمثل حالة استراتيجية دائمة، وليس تكتيكا مرحليا قابلا للتغيير من حال إلى حال، ومن زمن إلى زمن، نتيجة لاختلاف الظروف والأحوال، ولذا كان الخطاب في الزيارة « يا أبا عبد الله إنّي سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم إلى يوم القيامة»(بن قولويه، ص ٣٢٩)

أي: أبدًا ودائمًا، فالمسالمة مع المسالم، والمحاربة مع المحارب، مستمرتان، ويعني امتداد حالة السلم مع الموالين، وحالة الحرب مع المعادين إلى يوم القيامة.

وهذه الحالة من السلم والحرب بمحوريتهم عليهم السلام مسؤولية عظمى للزائر والموالي لهم عليهم السلام، ولها كلفة في الحياة الدنيا، قد تصل في أعلى مراتبها ومستوياتها إلى الشهادة، وفي أعظم الحالات خسائر في متاع الحياة الدنيا وزخرفها، ولكنها أيضا نعمة عظمى لا يلقاها إلا ذو إيمان قوي وعظيم، وإن لم يستشهد معهم، فالأهم هو اتباع قيمهم ومبادئهم، التي هي مبادئ الدين الحقيقية.

والنعمة العظمى هي في الكينونة معهم، والشفاعة عندهم، والحشر معهم،

لذلك هي عند أصحاب البصيرة والوعي، فكانت عند جابر بن عبد الله الأنصاري، ولم تكن عند آخرين كثيرين، ولذا إن زيارة جابر في الأربعين مخلدة في التاريخ، وروايته مصداق واضح وجلي، وحينما أقبل لزيارة الحسين قال: « والذي بعث محمدا بالحق، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه»(المجلسي، ج ٦٥، ص ١٣٣)، وحينما يستفهم متعجبا صاحبه في الزيارة عطية العوفي، فيقول له: « وكيف ولم نهبط واديا، ولم نعلُ جبلا، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت الأزواج؟»(المجلسي، ج ٦٥، ص ١٣٣)، يجيبه جابر بيقين فيقول: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ قوما حشر معهم، ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمدا بالحق نبيا، إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه»(المجلسي، ج ٦٥، ص ١٣٣)

وفي تاريخ الإمام الباقر عليه السلام المروية عنه زيارة عاشوراء، قصة تبيّن الولاء والعَدَاء، فقد روى الكليني في الكافي عن الحكم بن عتيبة قال:

بينا أنا مع أبي جعفر عليه السلام والبيت غاص بأهله، إذ أقبل شيخ يتوكأ على عَنَزَة له، حتى وقف على باب البيت، فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم سكت. فقال أبو جعفر عليه السلام: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم أقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت وقال: السلام عليكم، ثم سكت حتى أجابه القوم جميعا، وردوا عليه السلام.

ثم أقبل بوجهه على أبي جعفر عليه السلام ثم قال: يا ابن رسول الله أدنني منك، جعلني الله فداك، فوالله إني لأحبكم وأحب من يحبكم، ووالله ما أحبكم وأحب من يحبكم لطمع في دنيا. وإني لأبغض عدوكم وأبرأ منه، ووالله ما أبغضه وأبرأ منه لوتر كان

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي السادس لزيارة الاربعين /ايلول ٢٠٢٢/ الجزء الاول

بيني وبينه، والله إني لأحل حلالكم، وأحرم حرامكم، أنتظر أمركم، فهل ترجو لي جعلني الله فداك ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام إِلَيَّ إِلَيَّ حتى أقعده إلى جنبه.

ثم قال: أيها الشيخ إن أبي علي بن الحسين عليه السلام، أتاه رجل فسأله عن مثل الذي سألتني عنه، فقال له أبي عليه السلام: إن تَمُتْ ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى عليّ والحسن والحسين، وعليّ بن الحسين، ويثلج قلبك، ويبرد فؤادك، وتقر عينك، وتستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين، لو قد بلغت نفسك ههنا - وأهوى بيده إلى حلقه - وإن تعش ترى ما يقر الله به عينك، وتكون معنا في السنام الأعلى.

قال الشيخ: قلت: كيف يا أبا جعفر ؟

فأعاد عليه الكلام.

فقال الشيخ: الله أكبر يا أبا جعفر، إن أنا مت أرد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين، وتقر عيني، ويثلج قلبي، ويبرد فؤادي، واستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين، لو قد بلغت نفسي ههنا، وإن أعش أرى ما يقر الله به عيني، فأكون معكم في السنام الأعلى ؟

ثم أقبل الشيخ ينتحب، ينشج ها ها ها حتى لصق بالأرض.

وأقبل أهل البيت ينتحبون وينشجون، لما يرون من حال الشيخ، وأقبل أبو جعفر عليه السلام يمسح بإصبعه الدموع من حماليق عينيه وينفضها.

ثم رفع الشيخ رأسه فقال لأبي جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله، ناولني يدك جعلني

الله فداك، فناوله يده فقبلها، ووضعها على عينيه وخده، ثم حسر عن بطنه وصدره، فوضع يده على بطنه وصدره، ثم قام، فقال: السلام عليكم.

وأقبل أبو جعفر ﷺ، ينظر في قفاه وهو مدبر، ثم أقبل بوجهه على القوم فقال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا، فقال الحكم بن عتيبة: لم أر مأتما قط يشبه ذلك المجلس(الشيخ الكليني، ج ٨، ص ١٠٠).

ومحل الشاهد في كلام الشيخ الموالي « فوالله إني لأحبكم، وأحب من يحبكم. ووالله ما أحبكم وأحب من يحبكم، لطمع في دنيا. وإني لأبغض عدوكم وأبرأ منه، ووالله ما أبغضه وأبرأ منه لوتر كان بيني وبينه، والله إني لأحل حلالكم، وأحرم حرامكم». وفي ترحيب الإمام الباقر ﷺ له، وتعظيمه، حتى طلب منه القرب وأجلسه إلى جنبه.

وفي الرواية بيان واضح لمحبة أهل البيت لشيعتهم ﷺ، الذين يطبقون توصياتهم ويعملون طبق تعاليمهم، ومعاملتهم بالتعظيم والتوقير والاجلال كما فعل الإمام بالشيخ.

٢- إهمال الفوارق العرقية والقومية واللغوية والجغرافية

وإحدى القيّم الدينية التي ترسخها زيارة الأربعين، الانصهار في قيّم الدين من ناحية إهمال مكانة وشأن العرق واللون والبلد واللغة والجغرافيا، فهذا المظهر الديني الحقيقي والأخلاقي والحضاري يتجلى في زيارة الأربعين أيّما تجلٍ، ويجب أن يتجلى في كل مراحل أعمارنا وأمكنتها.

هذه القيمة المعنوية والعملية البارزة والظاهرة في الزيارة قيمة دينية أساس،

ومن أصول الأخلاق الإسلامية في عدم الفرق بين الناس إلا بتقواهم وأعمالهم الصالحة، وتجاهل الفوارق الشكلية العرقية والقومية واللغوية والمناطقية وغيرها، وقد جاء القرآن وروايات النبي وأهل بيته عليهم السلام بذلك، قال تعالى ﴿ إِنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(الحجرات،:١٣).

ورغم تأكيدات النبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه بتوصيات متكررة لهم بمضمون واحد، بعدم الفوارق بين الناس إلا بالتقوى، إلا إنّ المسلمين عامة، لا زالوا يبتعدون عن تلك القيّم الرئيسة والأسس، وهذه أمثلة من النصوص المتعددة التي ترشد إلى جعل معيار الكرامة هي التقوى، وليس شيئًا آخر:

ورد في خطبة الوداع عن النبي صلى الله عليه وآله: «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(الريشهري ، ج ٤، ص ٨٧٧ ، المنذري، ج ٣، ص ٦١٢).

و عن النبي صلى الله عليه وآله: « إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا، مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى»(الشيخ المفيد، ص ٣٥٣، ج ٤، الريشهري، ص ٨٧٧) وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «لا حسب لقرشي ولا عربي إلا بتواضع، ولا كرم إلا بتقوى»(المجلسي، ج١، ص ٢٠٩، الريشهري، ج٤، ص ٨٧٧).

وقد حققت زيارة الأربعين تقدما في تطبيق تلك القيمة الدينية والحضارية إلى درجة كبيرة، فتلهف قلوب زوار وخدمة الأربعين لكل الزوار، ويتم الترحيب بهم وإكرامهم وتوقيرهم جميعا، وتتلاشى فوارق القوميات والعرقيات والجغرافيا،

ويكون المحور الرئيس هو حب الحسين وأهل البيت عليهم السلام.

وهذا ما يقلق الأعداء ويوجعهم ويقلّب مضاجعهم، ولمثل هذا يجهد الأعداء والمناوئون والمعاندون لمحو الزيارة أو التقليل من شأنها وعَظَمَتِها، ويسعى بعضهم لإلغاء هذه العقيدة العميقة في وجدان الشيعة، ولذا تُعد زيارة الأربعين حقيقة من أهم الأحداث والتجمعات السنوية في العالم، في حين يتم تجاهلها في الإعلام عمدا وقصدا، لطمس معالمها وآثارها، ويقوم الحاقدون بالقتل والتفجيرات لمنعها.

٣- الضيافة والإطعام والكرم

وإحدى القيّم الدينية المأمور بها شرعا، والتي تخرج النفس من حالة الطمع والجشع إلى حالة الجود والكرم، هي الضيافة، وإطعام الطعام، والجود، وهو ما نشاهده بزخم في زيارة الأربعين على امتداد المواكب الحسينية والحسينيات.

وبينما تلحظ في كثير من نقاط العالم وأمكنتها، أمثلة للحرص والطمع والجشع، تلحظ في الزيارة مظاهر الكرم والجود والعطاء والسخاء، والشوق لضيافة الزوار، والتسابق على خدمتهم وإطعامهم، والعناية بهم واهتمام على نحو فريد تخلو منه بقاع الأرض الأخرى.

وهذه القيمة الدينية مظهر حقيقي للزيارة الأربعينية، ومن القيّم الدينية المأمور بها وتؤكد إيمان وعقيدة خدمة الأربعين، وأنّ الله يعوض ما يعطون، ويخلف ما ينفقون، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قل إنّ ربّي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾(سبأ: ٣٩).

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صدّق بالخلف، جاد بالعطية»(الشيخ

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي السادس لزيارة الاربعين /ايلول ٢٠٢٢/ الجزء الاول

الكليني، ج ٤، ص ٢) ، وأمير المؤمنين عليه السلام «من أيقن بالخلف، جاد بالعطية»(الشريف الرضي، حكمة رقم ١٣٨ ؛ الشيخ الصدوق ، ص ٥٣٢)

وهذه قضية أساس مهمة ولها آثارها في الدنيا والآخرة، ورغم أنّ النبي صلى الله عليه وآله ذكرها ووصّى بها إلا إنّ أعداد كبيرة من المسلمين لا تعمل على تطبيقها، ولا تتخلق بخلقها، إلا إنّ زيارة الأربعين، وخدمة الأربعين، تكسر جمود الحرص، وتتعدى به إلى الكرم والجود، وهذا مظهر حقيقي للزيارة الأربعينية.

وإكرام الضيف مأمور به فهو قيمة دينية إسلامية، ولذا إنّ خدمة الأربعين والمواكب يسيرون على هدى الروايات، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: مما علم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام أن قال لها: « يا فاطمة، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه»(الشيخ الكليني ، ج ٦، ص٢٨٥).

وفي الروايات إنّ الضيف هدية الله لمن أحب، فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا أراد الله بعبد خيرا، أهدى لهم هدية، قالوا: وما تلك الهدية ؟ قال: الضيف، ينزل برزقه، ويرتحل بذنوب أهل البيت»(النوري، ج ١٦، ص ٢٥٨) .

وإطعام الطعام من الموارد التي تجلب الرزق كما في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «الرزق أسرع إلى من يطعم الطعام، من السكين في السنام»(الشيخ الكليني، ج ٤، ص ٥١؛ البرقي، ج ٢، ص ٣٩٠ ؛ الراوندي، ص ١٥٠، ؛ الريشهري، ج ٢، ص ١٠٧٣؛ الحائري، ج ٢، ص ٤٢٧).

والسنام: واحد أسنمة الإبل، وهو أعلى الظهر، والتعبير كناية عن سرعة أثر الإطعام في رزق المطعم.

و في شجرة طوبى: «الرزق إلى مطعم الطعام، أسرع من السكين إلى ذروة البعير»(الحائري، ج ٢، ص ٤٢٧).

وفي البحار عن دعوات الراوندي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «البركة أسرع إلى من يطعم الطعام، من السكين في السنام»(المجلسي، ج ٧٢، ص).

وجاء في بحار الأنوار: قال الراوي: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك قد كان الحال حسنا، وإن الأشياء اليوم متغيرة، فقال: إذا قدمت الكوفة فاطلب عشرة دراهم، فإن لم تصبها فبع وسادة من وسائدك بعشرة دراهم، ثم ادع عشرة من أصحابك واصنع لهم طعاما، فإذا أكلوا فاسألهم فيدعوا الله لك، قال: فقدمت الكوفة، فطلبت عشرة دراهم فلم أقدر عليها حتى بعت وسادة لي بعشرة دراهم، كما قال، وجعلت لهم طعاما ودعوت أصحابي عشرة، فلما أكلوا، سألتهم أن يدعوا الله لي، فما مكثت حتى مالت عليّ الدنيا(المجلسي، ج ٩٢ ص٢٩٨؛ الشيخ المفيد ، ص ٢٤).

ويسوق الضيف الرزق، ويحمل الذنوب، ففي الرواية قلت لأبي عبد الله عليه السلام: « الأخ لي أدخله منزلي، فأطعمه طعامي، وأخدمه بنفسي، ويخدمه أهلي وخادمي، أينا أعظم منة على صاحبه؟

قال: هو عليك أعظم منة،

قلت: جعلت فداك، أدخله منزلي، وأطعمه طعامي، وأخدمه بنفسي، ويخدمه أهلي وخادمي، ويكون أعظم منة على منى عليه ؟ !

قال: نعم، لأنه يسوق إليك الرزق، ويحمل عنك الذنوب»(البرقي، ج ٢، ص

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي السادس لزيارة الاربعين /ايلول ٢٠٢٢/ الجزء الاول

٣٩٠ ؛ الشاهرودي، ج ٦، ص ٥٣٥).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: ذكر أصحابنا قوما، فقلت: « والله ما أتغدى ولا أتعشى إلا ومعي منهم اثنان أو ثلاثة أو أقل أو أكثر، فقال ﷺ: فضلهم عليك أكثر من فضلك عليهم، قلت: جعلت فداك كيف ذا؟ وأنا أطعمهم طعامي، وأنفق عليهم من مالي، ويخدمهم خادمي؟ فقال: إذا دخلوا عليك، دخلوا من الله عز وجل بالرزق الكثير، وإذا خرجوا خرجوا بالمغفرة لك»(الشيخ الكليني، ج ٦، ص ٢٨٤؛ المجلسي، ج ٧٢، ص ٤٥٩).

و في حديث للإمام الجواد ﷺ، قال: « أهل المعروف إلى اصطناعه، أحوج من أهل الحاجة إليه، لأن لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف، فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبن شكر ما صنع إلى نفسه من غيره»(المجلسي، ج ٧٥، ص ٧٩ ؛ القزويني، ج ٢، ص ٣٦٨؛ الريشهري، ج ٣، ص ١٩٣١)

وذكرت الروايات أنّ الضيف يأتي برزقه فعن رسول الله ﷺ: «الضيف يحل على باب القوم برزقه، فإذا ارتحل ارتحل بجميع ذنوبهم»(النوري، ج ١٦، ص ٢٥٧).

و عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الضيف إذا جاء فنزل بالقوم، جاء برزقه معه من السماء، فإذا أكل غفر الله لهم بنزوله عليهم»(الشيخ الكليني، ج ٦، ص ٢٨٤).

فهنيئا لخَدَمة الحسين ﷺ من أصحاب المواكب هذا الشرف والإخلاص والعطاء والخدمة، وهنيئا لهم بهذا الرزق ومحو الذنوب، وهنيئا لهم بشفاعة الحسين وأهل البيت ﷺ.

٤- خدمة المؤمنين

ومن القيّم الدينية التي تعززها زيارة الأربعين هي «خدمة المؤمنين» فهي تتجلى في زيارة الأربعين، إذ تتسابق العشائر العراقية والعراقيون إلى خدمة زوار الحسين بدافع الأخوة الإيمانية في مظهر فريد من نوعه في أرجاء المعمورة كلها على ما نعلم، ليس في الطعام والشراب فقط، بل في كثير من الخدمات مثل المبيت، والمواصلات، والاسعافات والتطبيب والعلاج، والدواء، والتدليك، إلى غيرها من أنواع الخدمات التي يقدمها الأفراد والمواكب للمؤمنين زوار الحسين عليه السلام.

وهذه الخدمة هي قيمة دينية حث عليها رسول الله وأهل بيته عليهم السلام، وقد وردت روايات كثيرة في خدمة المؤمنين وعظيم ثوابها، وهذه مما ينبغي أن تنتشر بوصفها ثقافة عامة بين المؤمنين، ومنها:

حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «خدمة المؤمن لأخيه المؤمن درجة لا يدرك فضلها إلا بمثلها»(النوري الطبرسي، ج ١٢، ص ٤٢٩)

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب القيامة، ومن سر مسلما سره الله يوم القيامة»(الطبرسي، ج ١٢، ص ٤١٥).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «إنّ لله عبادا في الأرض، يسعون في حوائج الناس، هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سرورا فرح الله قلبه يوم القيامة» (الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٩٧).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «قال الله عز وجل: الخلق عيالي، فأحبهم إِلَيَّ ألطفهم

بهم، وأسعاهم في حوائجهم»(الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٩٩).

وكذا في الإطعام فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من أطعم أخاه في الله، كان له من الأجر مثل من أطعم فئاما من الناس، قلت: وما الفئام [من الناس] ؟ قال: مئة ألف من الناس»(الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٠٢).

وكذا في الاستقبال والترحيب واللطف، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قال لأخيه المؤمن: مرحبا، كتب الله تعالى له مرحبا إلى يوم القيامة»(الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٠٦).

و عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما في أمتي عبد ألطف أخاه في الله بشيء من لطف إلا أخدمه الله من خدم الجنة»(الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٠٦).

وفي الإكرام عن الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها، وفرج عنه كربته، لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة، ما كان في ذلك»(الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٠٦).

وفي الخدمة المطلقة عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: « أيُّما مسلم خدم قوما من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداما في الجنة»(الشيخ الكليني، ج ٢،ص ٢٠٧).

ولولا هذه الخدمة العظيمة التي يقوم بها أهل وأصحاب المواكب الحسينية في الطرق الممتدة على مناطق العراق، واستعدادهم الكبير والمتجدد للخدمة، لما كان موسم الأربعين كما هو عليه اليوم من التوفيق والنجاح، وضربًا للمثل في الخدمة والاخلاص والعطاء والكرم والضيافة والإحسان، وينبهر منه القاصي والداني،

وحينما يُقارن بتجمعات أخرى يثير في المقارن بينهما الخجل أو الفخر.

و أهم من كل ذلك إظهار الحبّ والشوق والتوقير والتعظيم في خدمتهم للزوار، وهذا مما تنفرد به هذه البقعة المباركة، وخدمتها، ولا مثيل له في كل العالم.

خاتمة

إنّ من اليقين أنّ هذه الأجواء الروحية والمادية وقلوب ومشاعر الناس وأصحاب المواكب وسلوكهم وأخلاق الزوار وحركاتهم، إنّما هي مسددة من أصحاب الزيارة الحسين وآل الحسين عليهم السلام جميعا.

وهذه السلوكيات لها تأثير عظيم في تلك الجموع المتقدمة للزيارة، وحتى تلك التي تبتعد عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتجهل فلسفتهم، وإذا أردنا مثالا قريبا لنا فهو مثال زيارة الأخوة المغاربة المستبصرين، الذين يتأثرون أشد التأثير بحضورهم موسم كربلاء، لقد كانت الزيارة الأربعينية مصدر إشعاع وهداية وانصهار لأعداد المستبصرين المغاربة، الذين تشرفوا بالزيارة وعايشوا سلوكيات وأخلاقيات زوار الأربعين وأصحاب المواكب والأجواء الأربعينية عامة، فاندمجوا على العقائد الشيعية في الزيارة، وبعد الزيارة.

فهذه أربعة أمثلة في دور زيارة الأربعين في ترسيخ القيّم الدينية الإسلامية وتثبيتها، جعلنا الله وإياكم من الموفقين لهذه الزيارة، والنائلين لآثارها الدنيوية والأخروية، والمحافظين على للقيّم الدينية، والحمد لله ربّ العالمين وصلِّ اللهم على محمد وآله الطاهرين.

المراجع

- القرآن الكريم

١. نهج البلاغة – الشريف الرضي

٢. كامل الزيارات، جعفر بن محمد ابن قولويه القمي

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق (محمد بن علي بن الحسين بن بابويه) القمي)

٤. بحار الأنوار – العلامة المجلسي (محمد باقر المجلسي)

٥. الأمالي، الشيخ الطوسي (محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي)

٦. الخصال، الشيخ الصدوق (محمد بن علي بن الحسين بن بابويه)

٧. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي

٨. الكافي، الشيخ الكليني (محمد بن يعقوب الكُلَيني)

٩. ميزان الحكمة، محمد الريشهري

١٠. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي

١١. المحاسن – أحمد بن محمد بن خالد البرقي

١٢. الدعوات – قطب الدين الراوندي

١٣. شجرة طوبى – الشيخ محمد مهدي الحائري

١٤. الاختصاص، الشيخ المفيد (محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي)

١٥. مستدرك سفينة البحار – الشيخ علي النمازي الشاهرودي

١٦. موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، السيد الحسيني القزويني